دور الوسائط الإلكترونية في تشكيل الرأي العام

د / نبيلة بن يوسف

كلية الحقوق و العلوم السياسية - جامعة مولود معمري تيزي وزو

ملخص

الرأي العام العربي تأثر بالوسائط التكنولوجية الحديثة فكانت وسيلة للإقناع ووسيلته للمطالبة بالتغيير، نجحت إلى حد بعيد، ولازال استخدامها مطلوب ما بعد الثورات حتى تساهم في عملية الانتقال الديمقراطي السلس، ومساهمتها في عملية التسويق السياسي.

الكلمات المفتاحية: الرأي العام، الوسائط التكنولوجية، وسائل الإعلام، الشبكات الاجتماعية.

Résumé

L'opinion publique arabe influencée par les médias technologiques modernes, était un moyen de convaincre et un moye de demander le changement, l'utilisation de ces medias ont toujours utiles et nécessaire au processus de transition démocratique ainsi dans les opérations politique de marketing.

Les mots clés : l'opinion publique, les médias, transition démocratique.

مقدمة:

صنعت التكنولوجيا المعولمة نهاية تاريخ المسار السياسي التقليدي الذي عرفه التاريخ البشري منذ نشأة الدولة الوطنية، والأنظمة السياسية في أوروبا، صبرا طويلا صبرته شعوب الوطن العربي على حكامها المستبدين بالرأي والمحتكرين للسلطة والمال والنفوذ لسنوات طويلة، وتبديد للمال العام من طرف عوائلهم وكبار القادة العسكريين وكبار المسؤولين، وصبر على وعود الأحزاب السياسية بعد ما شهدت الدول العربية تعددا حزبيا بداية تسعينات القرن الماضي، وانتظرت الشعوب طويلا نشاط المعارضة السياسية، إلاّ أن الصبر فـقّد بعد أن زاد استفحال الحال، وعموم الفساد، وفقدان الثقة بالحكام والأحزاب لاسيما التي تقع في موقع المعارضة السياسية، بعد أن اكتشف تلاعبها بجلاء، وتراجعها عن مواقفها ومبادئها المنشودة بمجّرد تهديد يصلها، أو وعد بمناصب عليا لقادتها، وتتحّول من ناقدة وناقمة إلى مادحة وشاكرة.

لم يكن نقص الوعي السياسي هو بلاء شعوب المنطقة العربية، بل زاده ضغط بعض الوسائل على اتخاذ مواقف شجاعة وجريئة ومّوحدة، ومن بين تلك الوسائل التي تؤثر في الرأي هي وسائل الإعلام من خلال البرامج الإذاعية والتلفزيونية والمقالات المبجلة لعمل الحكام وإنجازاتهم، ومن خلال خطب الحكام ذاتهم خاصة إذا تمتع الحاكم بقوة الإقناع وبراعته لمعرفته نقاط الضعف والتأثير في أفراد المحكومين، فيستطيع إلهام مشاعر الأكثرية في دقائق معدودة حتى أولئك اللذين تملكهم السأم واللذين لا ينتظرون الإصلاح، قد تغير نظرتهم في بضع دقائق ويصبحون على حلم بمستقبل موعود.

تعيش الدول العربية تغييرات سياسية واجتماعية رهيبة لم تكن متوقعة من طرف أكبر المحللين السياسيين في عالم القرنين العشرين وبداية الواحد والعشرين، بل لم تكن متوقعة أن إرهاصاتها وعواملها الرئيسة هما؛ تكنولوجية وسيكولوجية نابعة من الحلم والأمل الفسيح في التغيير وصولا إلى تحقيق المواطنة الحقة، والحكم المحلي الراشد.

الوسيلة الالكترونية صاحبة الشأن الأكبر في الزمن الجديد زمن "ديمقراطية المعلومات" أو زمن "الديمقراطية الافتراضية شبه المباشرة " التي شكّلت ضغطا سياسيا افتراضيا قويا و واسعا عبر شبكات التواصل الاجتماعي المختلفة بتوفر المعلومات وسرعة تدفقها كل وقت دون خضوعها للرقابة. فكانت لها اليد الطولية في إيصال الأفكار وتبادلها في إطار نقاش محتدم حول مواضيع اجتماعية وأخرى سياسية مترابطة، منافسة بذلك أشهر الوسائط المشاركتية السياسية والاجتماعية كالأحزاب السياسية ومؤسسات المجتمع المدني. لكن يبقى أن الرضا عليها لم يكن كاملا وكلّيا، والتشكيك في أنها صاحبة الفضل الأول في التواصل والنقاش وتبادل الأفكار والاتفاق ومواصلة كشف الحقائق إلى غاية إسقاط الحكام من أعلى هرم السلطة السياسية، وعليه إشكالية الدراسة تبحث في؛ مدى مساهمة الوسائط الإلكترونية في تشكيل الرأي العام العربي وفي حراكه سياسيا؟

ومن منطلق الحراك السياسي نبحث أيضا في مدى قدرتها على الاستمرار في مجتمعات ما بعد الثورات بغرض إرساء قيم ديمقراطية تساعد على إقامة حكم راشد في الدول العربية على المدى القريب والمتوسط؟

الفرضيات:

ـ كلما زاد عدد المستخدمين للوسائط الإلكترونية، كلما كانت زيادة تحقق صناعة الرأي العام الواحد.

ـ كلما زادت الثقة في الوسائط الالكترونية، كلما استطاعت تحقيق نسبة عالية من الالتفاف الجماهيري حول رأي احد.

ـ تحوّل الوسائط الالكترونية عن القضايا المجتمعية الجوهرية أمر وارد على المدى القصير.

ـ الوسيط الالكتروني موجة من الموضة الإعلامية يزول وتنطفئ شعلته بعد أعوام قليلة من نهاية الثورات العربية ليفسح المجال لوسائط أخرى في زمن التكنولوجيات المتسارعة تقود التغييرات المجتمعية اللاحقة.

تعريف الوسائط الالكترونية وعلاقتها بالرأي العام:

إنّ الوسائط الالكترونية هي قنوات غير رسمية مثل المدونات، البالتولك، والسكايب، والرسائل القصيرة والاتصالات الهاتفية، واليوتوب وغيرها، تستعمل للتعارف وتبادل الأفكار والمعارف المختلفة، كما استعملت في المجال السياسي في تعبئة الجماهير الالكترونية، في صناعة رأي عام الكتروني.

أما عن الشبكات الاجتماعية فهي مواقع التعارف وتبادل الأفكار وقدرة على تبادل الصور والفيديو والتعليق على كل ما يمكن أن ينشره أعضاء مجموعة الشبكات، تمكّن عدد من أعضائها لاسيما أصحاب الرأي المشترك أن يكّونوا مجموعة واحدة تضمهم، بل الأكثر من ذلك اللقاء في الواقع والحديث وجها لوجه بعد أن وطدت تلك الشبكات العلاقة الاجتماعية بينهم، والعمل على إقناع الآخرين وضمهم إلى فلكهم الفكري.

يعرف الأستاذ "محمد عواد" شبكات التواصل الاجتماعية على أنها: "تركيبة اجتماعية إلكترونية تتم صناعتها من أفراد أو جماعات أو مؤسسات، وتتم تسمية الجزء التكويني الأساسي (مثل الفرد الواحد) باسم (العقدة – Node)، حيث يتم إيصال هذه العقد بأنواع مختلفة من العلاقات

كتشجيع فريق معين أو الانتماء لشركة ما أو حمل جنسية لبلد ما في هذا العالم، وقد تصل هذه العلاقات لدرجات أكثر عمقاً كطبيعة الوضع الاجتماعي أو المعتقدات أو الطبقة التي ينتمي إليها الشخص"[1].

هذا التعريف يبين أن الأفراد يتواصلون ويتشابكون الكترونيا تبعا لأنشطتهم وانشغالاتهم المشتركة، وتتعمق العلاقة والترابط لما تكون الشبكة مبنية على أساس عقائدي، ديني، أو طبقة اجتماعية واحدة.

كما تعرف الأستاذة "هبه محمد خليفة" مواقع الشبكات الاجتماعية على أنها: "صفحات الويب، التي يمكن أن تسهل التفاعل النشط بين الأعضاء المشتركين في هذه الشبكة الاجتماعية الموجودة بالفعل على الإنترنت، وتهدف إلى توفير مختلف وسائل الاهتمام، والتي من شأنها تساعد على التفاعل بين الأعضاء بعضهم بعض، ويمكن أن تشمل هذه (المميزات المراسلة الفورية، الفيديو، الدردشة، تبادل الملفات، مجموعات النقاش، البريد الإلكتروني والمدونات) ... وهناك الآلاف من مواقع الشبكات الاجتماعية التي تعمل على الصعيد العالمي، وهناك الشبكات الاجتماعية الصغيرة، التي طرحت لتناسب القطاعات المهمشة في المجتمع، في حين هناك شبكات تخدم وحده جغرافية للمجتمع، وهناك بعض الشبكات تستخدم واجهة استخدام بسيطة، بينما البعض الآخر أكثر جراءة في استخدام

[1]- محمد المنصور، تأثير شبكات التواصل الاجتماعي على جمهور المتلقين، دراسة مقارنة للمواقع الاجتماعية والمواقع الإلكترونية العربية نموذجاً"، رسالة ماجستير في الإعلام والاتصال،الأكاديمية العربية المفتوحة في الدانمارك، 2012، ص. 25.

التكنولوجيا الحديثة والقدرات الإبداعية" [2]. ويكون هذا التعريف قد بين أنواع شبكات التواصل الاجتماعية الالكترونية تبعا للمالات الانتمائية.

والتعريف الاجرائي لشبكات التواصل الاجتماعية الالكترونية هو؛ صفحات الكترونية على شبكة الانترنت مخصصة للتفاعل الاجتماعي بناءا على موضوع مكتوب أو مصور مطروح على النقاش، يتيح تبادل الأفكار والآراء في كل وقت ومن أي مكان من العالم، امكانية التواصل ليست محصورة بين المتفاعلين، واكتسبت الصفة الاجتماعية لتعزز العلاقات بين البشر ووسائطها الالكترونية المدونات وصفحات أو مجموعات الفايس بوك، واليوتوب والتويتر، والاعداد البشرية في تواكب متواصل على استعمالها.

ومجمل التعاريف المقدمة أعلاه وغيرها تصب في معنى واحد، هادفة إلى خلق منظومة اتصالية عالمية، في إطار العولمة التي نعيشها.

ومن مجمل الخصائص المتفق عليها ؛

اتصافها بالسرعة في تلقي المعلومة ـ وفرة المعلومة ـ مصادر غير موثوقة لكن صور حّية ترافقها وتضفي عليها المصداقية ـ منافسة السبق الإعلامي في الإعلام التقليدي والذي أضحى يستند إليها كمرجع حّي.

ترتبط الوسائط الالكترونية بالرأي العام كلما زاد الاهتمام باستعمالها في قضايا هامة تخص الطبقة الشعبية العريضة في المجتمع، وفعاليتها تكون العامل الحاسم في صناعة رأي عام.

والرأي العام ما هو إلاّ تعبير الجماعة أو المجتمع عن رأيه ومشاعره، وأفكاره ومعتقداته واتجاهاته في وقت معين بالنسبة لموضوع يخصه أو

---

[2]- هبه محمد خليفة, مواقع الشبكات الاجتماعية.. ما هي؟ منتدى علمي،مصر: قاعة د. شوقي سالم, المكتبة المركزية، جامعة حلوان. بتاريخ 2009- 19-Jan نقلا عن:
http://www.alyaseer.net/vb/showthread.php?t=17775

قضية تهمه أو مشكلة تؤرقه، وهو القوة الحقيقية في المجتمع والحكم الذي تصدره الجماهير على عمل أو حادثة أو نشاط في المجال الداخلي أو الخارجي المحلي أو العالمي، وكذلك التعبير عن وجهة نظر الجماعة[3].

وصناعة الرأي العام تمر عبر مراحل بداية من مرحلتي الإحساس والإدراك، والنقاش والحوار، والصراع بين الأفراد فكل منهم يريد تقديم رأي بمجموعة من المعلومات والحجج.

إلى مرحلة تحّول آراء إلى رأي عام بعد النقاش والإقناع والاقتناع الحقيقين، وقد لا يقتنع البعض قناعة تامة لكن يجدها الأقرب إلى المنطق والضرورة، ونجد البعض الآخر يوافق وينضم إلى نفس الرأي لأنه يريد تحقيق صفة الانتماء للآخرين، إن العملية تخضع لمجموعة عوامل متعلقة بشخصية الفرد والظروف المحيطة به.

تختلف مظاهر تعبير الجماهير عن رأيهم حيال قضايا معينة من التعبير العنيف كالمظاهرات والإضرابات والثورات والاحتجاجات، إلى التعبير السلمي الهادئ.

وتأثيرها في الرأي العام يكون من وحي الثقة فيها من جهة، ومن سرعة انتشارها واستعمالها من جهة أخرى، وقد جاء في مقال للكاتب "وسام فؤاد": "المعروف أن سنة واحدة من عمر شبكة الإنترنت تساوي أربعة سنوات من العمر الزمني الأرضي لغيرها من وسائل الإعلام " دلالة على شدة تأثيرها وسرعة التفاعل والأداء" .

[3]– محمد منير حجاب، أساسيات الرأي العام، ط2،القاهرة: دار الفجر للنشر والتوزيع، 2000، ص 24

بعد الطفرة التكنولوجية الطاغية على وسائل الاتصال والإعلام، وانتشار استعمالها في العالم العربي لاسيما في الوسط الشباني الذي يعتبر عمود المستقبل وأساسه، لم يقتصر اعتمادها كوسيلة بحث علمي أو وسيلة تواصلية مع الآخرين فقط، فقد جعله وسيلة مشاركتية وبذلك خرجت المشاركة السياسية عن اعتماد وسائلها التقليدية إلى إضافة وسيلة جديدة تماشيا والتطور الحاصل في تكنولوجيا الاتصالات.

وإن اثير نقاش حاد حول حقيقة الدور الذي لعبته الوسائط الالكترونية في تصنيع وتحريك الرأي العام العربي، بين مؤيد ومعارض.

إنّ التفاعل ومحاولات توضيح الرؤى الجديدة لم تكن لتبرز بذلك الشكل الواضح إلاّ من خلال وجود وسائط سهلت عملية التواصل بين المواطنين في النقاش وتبادل وجهات النظر حول مواضيع وقضايا سياسية على المستويين الوطني والدولي، عملية النقاش تجعل كل صاحب ذي رأي يؤثر في الآخر عن طريق التوضيح والتفسير بالأدلة والحجج والقادر على الإقناع هو من المساهمين في تسطير طريق الرأي العام وصناعته. وترجع التسهيلات لبساطة استعمال تلك الوسائط من جهة أولى، ولتكاليفها المعقولة من جهة ثانية، ولإمكانية التخفي وراء أسماء مستعارة من جهة ثالثة ولإمكانية كسر شوكة الخوف.

ولا تبق دائرة النقاش محصورة في ما بين اللذين يملكون قدرة التواصل الالكتروني، بل تنزل الأفكار وتنتشر في الشارع ويتداولها بالنقاش غير المتواصلين الكترونيا وقد تكون فرصة لالتحاقهم بركب التواصل السياسي الإلكتروني، بل حتى رأي الذي لا يتصلوا بتلك الشبكات قد يصل عبر تدخلاتهم في النقاش بين أهل الحي والعائلة، وفي أماكن العمل فيعبر عن آراءهم كل مقتنع بأفكارهم عبر الشبكة التواصلية الالكترونية وقد يزيدون

عليها حجج وأدلة، وتلقى الفكرة من يحتضنها ويدافع عنها ويزيدها درجات الإقناع، وتصاغ في صناعة الرأي العام.

ولعلّ أبرز الأمثلة التي يمكن سياقها ولا زلنا تحت تأثير وقعها هي الانتفاضات الشعبية التي حدثت في كثير من دول العالم العربي في مشرقه ومغربه، فقد لعبت الوسائط الالكترونية من مدونات ومواقع الكترونية وصفحات التواصل الاجتماعي (FCB, twiters, ..)، والهواتف النقالة وكل ما تحمله من تكنولوجية تواصلية متطورة، دورا في التواصل ونقل المعلومة لترويجها ونقلها ونشرها في أكثر من موقع وصفحة ومدونة كتابة وصورة، فكانت صورة البوعزيزي وهو يحترق بعد صفعة الشرطية له، تأثيرا كبيرا على من شاهد الصورة، وأكثر تأثيرا على الشعب التونسي. واصل المدونون عملية التعبئة لاسيما على الصفحة الفايسبوكية المشهورة وقتها "ثورة تونس2011" حتى استطاعت أن تجعل المواطنين في بلدة البوعزيزي يتفاعلون ويخرجون للشوارع محتجين تعبيرا عن غضبهم واستيائهم للوضع القائم، وتبعهم في الاحتجاج الشعب في مختلف المدن التونسية بعد مشاهدتهم للصورة ومعرفة السبب، وأعلنت الثورة التي أطلق عليها الإعلام ثورة الياسمين، ويذكر تزايد عدد مستخدمي الانترنت في تونس من مليون وبضعة آلاف إلى مليونين مستخدم في اليوم الواحد. وكانت الصفحة الفايسبوكية المذكورة تنشر كل احتجاج شعبي على صفحاتها بالصوت والصورة وتعليقات أعضاء الصفحة تتزايد بتزايد عدد أعضاءها يوما بعد يوم.

بعد انتشار فكرة التنظيم الجديد للثورات بطرق جديدة، تسمح بالتواصل بين كل أفراد الشعب باختلاف مستوياتهم الفكرية والعلمية، وباختلاف فئاتهم العمرية والجنسية..، وإمكانية التواصل السريع والفّعال بين أبناء البلد الواحد

رغم بعد المسافات الجغرافية بين مختلف مدن الدولة الواحدة من جنوبها وشمالها، إلى شرقها وغربها...، وبعد نجاح التنظيم والتأطير في تونس لأجل هدف جامع، جاء الدور على أبناء مصر، وكان المسلك نفسه في عملية التعبئة الشعبية وصناعة الرأي العام المصري؛ إنه اعتماد أسلوب التكنولوجيا التواصلية الحديثة. بعد مقتل الشاب "خالد سعيد" أنشئت صفحة على الفايس بوك من طرف المهندس الشاب "وائل غنيم" فكانت صاحبة الدفع القوي في تأجيج نار الاحتجاجات المتتالية في مصر، ووسيلة تنظيم تواجد المصريين في ميدان التحرير منذ اليوم الأول المسمى بيوم الغضب "25 يناير"، وصل عدد مستخدمي الانترنت ولاسيما للتواصل الاجتماعي إلى سبعة ملايين مصري متواصل في اليوم الواحد. واستعمال الانترنت عامة من طرف المصريين لمتابعة أخبار الثورة وتنظيمها وصل إلى 17 مليون من 80 مليون نسمة، وتزايد استعمال الهواتف النقالة بـ 56 ألف حسب دراسة تقدمت بها "دليلة وهبة" مديرة الاتصال والتنمية في مركز استشارات الشمال الإفريقي والشرق الأوسط. وعن تقارير وزارة الاتصالات المصرية أشارت إلى نسبة تشبع السوق المصري بـ 112٪ أي أن عدد شرائح المحمول يفوق عدد السكان.

وتناول تقرير شركة (تكنو وايرلس) المختصة في التسويق الالكتروني بالتفصيل حجم الزيادة في استخدام ثلاثة مواقع كان لها أثر كبير في الانتفاضة الشعبية و هي: (فيس بوك و تويتر) بالإضافة إلى موقع (يوتيوب) لتبادل ملفات الفيديو. وقدمت الشركة ذاتها عام 2011 دراسة بعنوان 1.9 مليون مستخدم جديد للإنترنت في مصر بعد الثورة، والرقم له دلالة عن كثرة الاهتمام الشعبي بالوسيلة الالكترونية كوسيط تواصلي.

وجاء في التقرير الذي حمل عنوان (ثورة 2.0)، "إن عدد مستخدمي الإنترنت في مصر قبل (25) يناير كان يبلغ (21.2) مليون شخص لكنهم وصلوا إلى (23.1) مليون بعد هذا التاريخ بزيادة نسبتها (8.9%)، أو ما يعادل (1.9) مليون مستخدم"، وأشار التقرير إلى تزايد فترات استخدام شبكة الإنترنت: "إذ أصبح المستخدم في مصر يقضي (1800) دقيقة شهرياً على الشبكة بعد الثورة مقارنة مع (900) دقيقة قبلها" [4].

التقطت كاميرات الهواتف المحمولة صور الجرحى والقتلى المتظاهرين رميا بالرصاص، وأذيعت تلك الصور على صفحات التواصل الاجتماعي لاسيما صفحة التف حولها الليبيون وأكثرهم من الشباب وأصبحت بمثابة مخبر تنظيم الاحتجاجات اليومية في ليبيا وهي صفحة "17 فبراير 2011"، بقيت المجموعة تشكو قرصنة شديدة من النظام وتوقت لأكثر من مرة كطريقة لتفتيت القوى وتشتيتها.

بعد اللقاء الأول بينهم لم يتوقف دور الشبكات الاجتماعية، بل تزايد لأنه أضحى حقيقة فإن كان لقاء للحديث عن ما هو ممنوع فقد أصبح المكان المنظم للقاءات المتواصلة في الساحات الكبرى، ووسيلة للرد على المعارضين للانتفاضة، ثم أصبح مكان رصد تحركات الشباب الآخرين في بقية مناطق البلد، ومكان لتلقي الدعم المعنوي من آلاف الشباب في المهجر أو الشباب المقهور في بقية دول العالم.

كان الشباب بالمرصاد للثورة المضادة وإلى المحاولات المستمرة لقرصنة بعض المواقع وصفحات بعض الأعضاء النشطاء والمجموعات القوية، فقد تجد من الشباب الحامي لها من لم يدرس إعلام آلي وتقنياته، لكن قوة الإرادة علمته.

[4] - http://www.annabaa.org/nbanews/2011/04/280.htm

لا يمكن إغفال نشاط المدونين والمهتمين بعالم السياسة والتواقين للتغيير على صفحات الفايس بوك والتوتيرز في المملكتين البحرينية والمغربية. ولا تنظيم الاحتجاجات السورية الأولى الذي اعتمد على وسائط الكترونية، وقد اعتمدته حتى المعارضة السورية لاحقا، ولازال اعتماده ضرورة لنقل فضائع ما يحدث.

كانت الوسائط الالكترونية على رأسها الفايس بوك والمدونات واليوتوب هي أماكن افتراضية للقاء الشباب الجزائري ومتنفسهم الوحيد في الحديث عن حال البلاد والعباد دون قيد وضبط. وزادت عدد الصفحات التي تنادي بالتغيير مباشرة بعد انتفاضة سكان سيدي بوسعيد في تونس، وتداول صور حرق البوعزيزي وخروج الشعب التونسي الذي لم يسبق له أن انتفض طيلة حكم "زين العابدين" من شدة الضبط والقهر والقمع المفروض عليهم.

ستة ملايين مستخدم للشبكة العنكبوتية في الجزائر إلى غاية النصف الأول من عام 2011 أي 16 بالمائة من مجموع السكان، وعدد المستخدمين لها في تونس 31 بالمائة من مجموع السكان، هي الإحصاءات التي قدمها المركز الوطني للدراسات والتحليل للمجتمع والتنمية[5] ، فمقارنة بعدد المستخدمين في دول المغرب العربي الخمسة كانت الجزائر متقدمة مع ذلك لم تشهد انتفاضة شعبية عارمة، بل احتجاجات شعبية متفرقة في ولايات مختلفة من البلاد لاسيما في كبرى الولايات، لكن لم يكن الوسيط الالكتروني محركها فالخروج الأول في بدايات الثورات العربية كان بإيعاز من حزب سياسي "حزب التجمع الديمقراطي" وتحديدا بطلب من زعيمه "سعيد سعدي"، الذي لقب أيامها بسعيد السبت said samedi، لأنه كان

[5] –*www.ceneap.com.dz/pdf/elmoudjahid30052011.pdf*

ينادي بالخروج واللقاء في ساحة أول ماي بالعاصمة كل صبيحة سبت وهو يوم الراحة الأسبوعية، لكن التجاوب كان ضعيفا جدا فلم يتمكن من التفاف الجماهير من حوله وحول مطلبه، وقد فقد بريقه السياسي بعد فشله في جمع الحشود فانسحب عن الساحة السياسية الجزائرية إلى غاية كتابة هذه الورقة العلمية.

كما دعت بعض صفحات الفايس بوك الكثيرة الأعضاء إلى الخروج للشوارع والاحتجاج على سوء الأوضاع وتدنيها لاسيما في الخراب الذي كان سببه الأول الفساد بكل أشكاله. ومن الغبن في سوء توزيع الموارد المختلفة. حاولت بعض الصفحات أن تنظم يوما احتجاجيا من اشهر تك الأيام المنظمة والمتفق عليها عبر تلك الصفحات التواصلية نذكر؛ 12فبراير،19 مارس،17 سبتمبر 2011 وبعض الصفحات سميت تبعا لذلك التاريخ المنشود.

لم تلقى الصفحات الفايس بوك أذانا صاغية رغم أن معظم أصدقاء هذه الصفحات يشكون من الظلم والقهر السلطوي بمختلف ألوانه وباختلاف درجاته، إلاّ أنّ الخروج للاحتجاج لم يكن مقبولا إلاّ من طرف أعداد قليلة جدا، لا تصل إلى 50 فردا كل مرة، لا يتجمهروا عادة في مكان واحد رغم الاتفاق على ساحة اللقاء، لا احد يعرف الآخر ولاتٌعرف أسماؤهم الحقيقية، ولا أحد يثق في الآخر، كل واحد فيهم يظن ان الآخر من عالم الاستخبارات، الشك والريب يجعلهم يتراجعون.

فكان عدم الأمان والريب القاتل وانتقال عدوة انعدام الثقة بين الحاكم والمحكوم إلى المحكومين فيما بينهم، من أسباب عدم نجاح تلك الوسائط على الالتفاف حول فكرة الاحتجاج رغم أن المواجع واحدة، ومن الأسباب الأخرى التي نراها قريبة من المنطقة هو التعب والملل والخوف من

المجهول والخوف من عودة سنوات العنف اللامعلوم، الذي أصاب أبناء الجزائر فلقد كانوا السّباقين إلى الاحتجاج في أحداث اكتوبر 1988 الشهيرة، فذاقوا من جرائها مرارة العنف لأزيد من عقد من الزمن لم ير الجزائري الاستقرار وينعم به، في بداية الألفية الثالثة بدأ يعرف نوعا من الاستقرار الأمني، الذي يجعله يعمل ويأمل لأجل بناء غد أفضل عن طريق المشاركة الشعبية السياسية في مؤسسات المجتمع المدني، والأحزاب السياسية، والاستحقاقات الانتخابية ـ بشكل نسبي ومتحفظ ـ، محاولا وضع الثقة في شخصيات وطنية بعد أن كاد يفقدها كلّيا.

ومن الأسباب الأخرى التي ساهمت في إحباط الاحتجاج المنظم من طرف الوسائط الالكترونية هي المجموعات الفايسبوكبة الداعية للتغيير السلمي على رأسها صفحة ثورة الشعب السلمية للتغيير، وإلياذة الجزائر صاحبة الشعبية. إلى جانب عدم الثقة في صناع الرأي الالكتروني من أصحاب الصفحات والمجموعات الداعية للاحتجاج والثورة.

تبين أن الجزائري لا يريد أن يثور، بل يتريث إلى أن يجّمع قواه من جديد، والخوف من العودة لحّمام الدم الهالك هو الهاجس الذي يضعه نصب عينيه كلما أراد الثورة. وهي المعزوفة التي يغني عليها عملاء الحكومة الجزائرية، والمنتفعين من تفشي الفساد.

أكثر التوجه الوسائطي الالكتروني في الجزائر هو حول إقامة جمعيات افتراضية تساهم في التعاون والمساعدات الخيرية في العالم الواقعي، قد يتبين من خلال ذلك عدم ثقة الشباب في الجمعيات وتفاعلهم عبر الشبكات الاجتماعية وسيلة جديدة، وقد أثبتت فعاليتها بعد أن راج نشاط صفحات "ناس الخير" على الفايس بوك بعرض يتوب حول حالات فقر مدقع، حول

أطفال مرضى وجياع، يتم بسرعة البرق نشرها، فتعمل على تحريك مشاعر المتلقي للرسالة وتتهاطل التعليقات ومعها التبرعات المادية المعنوية.

إنها محاولة خدمة الشعب للشعب دون الاحتجاج ومطالبة الحكومة، بعد أن سئموا من مد يدهم لها إما بالطلب والانتظار، أو بالتظاهر والتكسير.

الإرهاصات الأولى لاستعمالاتها السياسية :

كانت الوسائط الإعلامية الالكترونية تلعب دورا في تكوين الرأي العام قبل اندلاع شرارة الانتفاضات العربية لأكثر من سنتين فالفضائح التي كشفها موقع ويكيليكس وانتشارها السريع بين متصفحي الشبكة العنكبوتية، وتناولها كمواضيع ساخنة في المدونات وعلى شبكات التواصل الاجتماعي كان بمثابة البوابة الواسعة التي جعلت الناس يؤكدون فضاعة الحكام واستغلالهم لمناصبهم للاستحواذ على الممتلكات والأموال العامة بطرق ملتوية و قذرة، في حين يشكو المواطن من اللاقدرة الشرائية لأبسط مطالبه ومطالب أسرته.

وتزايدت الانتقادات وتزايد عدد المتصفحين والمعلقين على تلك الفضائح التي كانت تنشر بالأجزاء وكان المعلقون يزيدونها تأكيدا من خلال شهادتهم على ظلم أنظمتهم وحكامهم بالبرهان والدليل. فقد بدأت ثورة الشعوب على الأوضاع بوقت سابق عن حرق البوعزيزي لنفسه وتظاهر الشعب. وهي الطريق المعبدة للوصول لذروة الغضب بعد صناعة رأي عام.

فلقد استفاق الشباب التونسي من خلال نشر معلومات تتحدث عن ثورة الرئيس زين العابدين بن علي وزوجته وعائلتها الطائلة، وذلك من خلال رسالة سفير الولايات المتحدة في تونس سربها موقع ويكيلكس الالكتروني. فكانت الشرارة الالكترونية الأولى غير المباشرة في إيقاظ الشعب من خلال نقاشهم وتعليقاتهم اللاذعة بعد تداول الرسالة في وسائل التواصل

الاجتماعي، وكانت صورة البوعزيزي كصب الزيت على النار هيأة الجّو للتظاهر والانطلاقة التي لا بعدها تراجع.

وكان الشباب هو المصاب الأول والثائر الأول، والمستخدم الأول للوسيط الالكتروني الذي يعده المتنفس الشبه الوحيد بعد أن ضاقت به السبل، وقد جاء في كتاب يصف حال الشباب العربي أجمل وصف قال: " إن الشباب في عصرنا، مهملون مضّيعون.. مغشوشون مضللون.. تتخطفهم العقائد الفاشلة.. وتتجاذبهم التيارات الفاسدة.. لا موجّه يوجههم نحو هدف شريف.. ولا قائد لهم يقودهم صوب غاية حميدة.. ولا حاكم يعطيهم جهده واهتمامه، وعطفه وحنانه.. فلذلك: هم في ضياع.. وفراغ ... وصراع.. .لا تمتّد لنجدتهم يد... ولا يوضع لمأساتهم حد... ولا تعالج أزماتهم بالجدّ" [6].

من ثورات القرن الماضي إلى ثورات الديجتال :

لا غرابة فيما أحدثته الوسائط الالكترونية الجديدة، ففي الماضي كانت لوسائط أخرى اليد في ثورات شعبية كبرى، نذكر على سبيل المثال؛ الطباعة، والجرائد، والراديو، والتلفاز كلها كانت وسائط جديدة في وقتها، وكان لها تأثير قوي عل إحداث ثورات في أوروبا وفي تغيير الخرائط السياسية، ثم في التأثير على رفع معنويات وحماسة شعوب العالم الثالث للثورة ضد المستعمر والقضاء عليه. إلاّ أن الفرق بين الوسائط الالكترونية هو في سرعة انتشارها، فلم يكن حط الراديو و لا التلفاز الانتشار الواسع في بيوت الناس فكان لهما ثلاثون عاما لينتشرا في كافة البيوت الأسرية

---

[6] ـ محمد أحمد كنعان، أزمات الشباب أسباب وحلول، لبنان: دار البشائر الإسلامية، 1990، ص 03.

والعائلية في العالم, أما الانترنت ففي ظرف عشرة سنوات استطاع شباب العالم ومنه الشباب العربي أن يستخدم الانترنت بشكل واسع.

كما كانت لثورة أشرطة الكاسيت قدرة في القضاء على حكم الشاه محمد رضا البهلوي عام 1979 في إيران.

وفي مطلع الألفية الجديدة حان الوقت لإحداث تغييرات على السياسات القديمة، وبالتالي رفض النظريات القديمة، ورسم معالم نظريات جديدة تتوافق مع الظروف المعاصرة.

ولم تكن مطالب التغيير الشعبي في الوطن العربي هي السباقة، بل سبقتها لذلك دول أوروبا الشرقية باستعمالهم للوسائط الالكترونية نذكر ما حدث في صربيا عام 2000 وتمكنهم إسقاط حكم ميلوزوفيتش وتلتها ثورة جورجيا عام 2003 أو ما عرفت بالثورة الوردية التي قادتها حركة كامارا وأسقطت شفردنادزا، وفي أوكرانيا التي عرفت ما أطلق عليه بالثورة البرتقالية، وفي قرقيستان كانت للثورة الليمونية صدى عام 2005[7].

وقد سبقت الفلبين عام 2000 ثورات الزهور أو ثورات الألوان في دول أوروبا الشرقية في استعمالها كوسيلة تعبئة وتكوين للرأي الوسائط الالكترونية، لّما تبادل الفلبينيون سبعة ملايين رسالة قصيرة sms لطرد الرئيس "جوزيف استرادا" بعد أن عُلم تورطه في قضايا الفساد، فكانت تلك الرسائل وسيلة للتأثير والتنظيم، لقد تجّمع الفلبينيون متظاهرون في ساحة العاصمة إلى أن رحل.

[7] Michael Béchir ayari, Vincent Geisser, Renaissances Arabes ,7 Questions clés sur des révolutions en marche, Paris : éd de l'Atelier, éd Ouvrières ,octobre 2011,P P.51-52-53.

تساقطت أنظمة الحكم في الدول العربية مثل تساقط أحجار الدومينو الواحدة تلو الأخرى في وقت واحد، وهو التشبيه الذي أطلق على دول أوروبا الشرقية بعد تدمير جدار برلين رامزا لانتهاء القطب الاشتراكي تداعت أنظمة تشيكولوفاكيا المجر ورومانيا، وبلغاريا.

فعالية الوسائط الالكترونية بعد الثورات العربية:

فإن كانت وسائل الإعلام الكلاسيكية هي محرك من محركات الثورات في زمن مضى، فإنها غدت مشعل نور ومصدر إعلان ودعاية لانجازات فوقية في عهد الدكتاتوريات والأنظمة الفاشلة، وسترت على مواضيع سنوات خلت، كشفت عن فحواها وسائل إعلام جديدة، فهل سيسلك الإعلام الجديد والوسائط الالكترونية الطريق ذاته بعد زمن قد يكون بالقصير أم المتوسط؟ أم يواصل كشفه للحقائق دون خوف، و دون رحمة المال ؟ هل تبقى الثقة قائمة فيها أم تذوب وتزول ؟ هي أسئلة تطرح في زمن تزداد فيه سطوة المال على العقول والقيم الأخلاقية السامية، في زمن تضيع معه الحقائق وتنسى أو تتناسى لكثرة انشغالات الإنسان المعاصر وأنانيته. وفي صعوبة التنبؤ بالمستقبل القريب.

في زمن أصبح فيه التنبؤ بما يحدث في المستقبل من الصعوبة القسوى، وفي عصر اللايقين تطل علينا وسائل الاتصال بتطوراتها المذهلة معمقة هذا الشعور فاسحة المجال لنتائج وتغيرات لا يمكن التنبؤ بها، ولكن الأكيد أنها ستكون هي الأخرى أحد عوامل و وسائل التغير الاجتماعي والسياسي.

فلقد أدى التطور المتسارع لوسائل الإعلام والاتصال إلى إحداث ثورة حقيقية وتغيرات جوهرية مست جميع مجالات الحياة. وبدأت أثار هذه التغيرات على مستوى الجماعات والأفراد ليس على المستوى المحلي فقط، بل تعدى ذلك إلى المستوى العالمي محدثة ظواهر جديدة وتأثيرات مباشرة

على مختلف التنظيمات والبنى الاجتماعية. وقد ساهم في كل ذلك ما بات يعرف بشبكات التواصل الاجتماعي التي أصبحت وسيلة الاتصال المؤثرة في الأحداث اليومية، حيث أتاحت الفرصة للجميع شباب، وسياسيين، وباحثين لنقل أفكارهم ومناقشة قضاياهم السياسية والاجتماعية وما يرغبون في نقله، متجاوزين في ذلك الحدود الطبيعية إلى فضاءات جديدة لا رقيب عليها. وحتى الحكومات والمنظمات غير الحكومية أصبحت تستعمل هذه الشبكات من أجل إيصال أفكارها وتحقيق أهدافها المختلفة لما أدركت فعاليتها، وكمثال على ذلك استعمالها من طرف الأحزاب السياسية في نشر أفكارهم وتعبئة الرأي العام وقيادة الحملات الانتخابية، أضحت وسيلة لا غنى عنها في عملية التسويق السياسي.

ويبدأ الحديث عن ماذا لو تغيير الوضع كيف نعيش أحسن، وما هي سبل ذلك ؟ تساؤلات وأحلام قد تترجم في صور وأخرى في قصائد شعر، وآخرون يفكرون في اللقاء وتأسيس جمعيات محلّية وأخرى وطنية رغبة منهم في تحسين الوضع، وكل حسب طريقته وقدراته الفكرية والمادية وسعة الوقت الذي يتوفر لديه أيضا.

تلك كانت من بين المخرجات التي كان لابد أن تخرج من بين أحشاء ناس طال صمتهم.

خاتمة:

إنّ المحتمل المتوقع في حالة زيادة الثقة في الوسائط الالكترونية قد يكون الطريق الأنسب للعيش في عالم افتراضي يفرض تأثيرات ايجابية على العالم الواقعي، بزوال الأحزاب السياسية على أرض الواقع وتتحول إلى صفحات شهيرة على شبكات التواصل الاجتماعي تناقش المواضيع

المجتمعية الهامة والأقل أهمية، قد تخلق برلمانا افتراضيا، ويصبح شكل الحكومة الالكترونية أسهل للتحقق.

إن هاجس الخوف من المستقبل المجهول قاتل، إذ يمكن أن يتحول دور الوسيط الالكتروني من ايجابي إلى سلبي في عالم السياسة والاهتمام بالقضايا الكبرى، ويضحى من المهددات الأمنية الحديثة التي لا يمكن توقع خباياها وبالتالي يصعب التفكير السريع في مواجهتها ومجابهتها في طريق القضاء عليها. زيادة على أنها فضاءات عابرة للحدود الجغرافية بلا قيود، في ظل تراجع دور الإنسان لانشغالاته المختلفة (وان كان أكثرها بالكماليات)، وتعاظم دور الوسائل التكنولوجية.

مع أن الوسائط الالكترونية سخرت لتكون أداة تعبئة جماهيرية، أداة مشاركتية سياسية ـ مجتمعية، أداة لتكوين وصناعة الرأي العام، لكن يبقى مستقبل أدوارها مجهول والاحتمالات حوله بين مزيد من الإيجابية، وسلبيات ومخاطر أعظم تتطلب وسائط جديدة قد تكون الرجوع إلى الوسائط التقليدية مجددا، أم اكتشاف وسائط جديدة تعمل على التغيير في زمن التغييرات المتواصلة.

قائمة المراجع:

ـ حجاب محمد منير، أساسيات الرأي العام، ط2،القاهرة: دار الفجر للنشر والتوزيع، 2000.

ـ كنعان محمد أحمد، أزمات الشباب أسباب وحلول، لبنان: دار البشائر الإسلامية، 1990

. هبه محمد خليفة, مواقع الشبكات الاجتماعية ... ما هي؟ منتدى علمي، مصر: قاعة د. شوقي سالم, المكتبة المركزية، جامعة حلوان. بتاريخ 2009- Jan-19 نقلا عن:

http://www.alyaseer.net/vb/showthread.php?t=17775

ـ محمد المنصور، تأثير شبكات التواصل الاجتماعي على جمهور المتلقين، دراسة مقارنة للمواقع الاجتماعية والمواقع الإلكترونية العربية نموذجاً"، رسالة ماجستير في الإعلام والاتصال،الأكاديمية العربية المفتوحة في الدانمارك، 2012.

- Ayari Michael Béchir, Geisser Vincent, Renaissances Arabes ,7Questions clés sur des révolutions en marche, Paris :éd de l'Atelier, éd Ouvrières ,octobre 2011.